

تعاليم عن الكنيسة

القديس يوحنا فيشني

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

كان القديس يوحنا من فيشني راهباً أرثوذكسياً مدافعاً عن الإيمان. عاش في أواخر القرن السادس عشر وبدايات السابع عشر في جبل آثوس مع الجماعة البولندية - اللتوانية. تعليمه عن الكنيسة، في سياق الدفاع عن الكنيسة الأرثوذكسية وبُنيته رداً على هجمات ممثلي الكتلحة، يحتفظ بقيمته أيضاً في عصرنا من حيث أنه يوضح حقيقة الكنيسة. فقد كتب القديس رداً مختصراً على بطرس سكارغا اليسوعي، وضع فيه معايير واضحة للكنيسة الحقيقية. تشكلت هذه المعايير على وجه التحديد في الجدل مع الكتلحة وموقفها من الكنيسة الأرثوذكسية في أوكرانيا في تلك المرحلة التاريخية. تحمل تعاليم القديس يوحنا عن الكنيسة مسحةً جدلية من حيث أنها إسقاط للتعاليم الأرثوذكسية عن الكنيسة عبر منظور التأثير الكاثوليكي على الأرثوذكسية في أوكرانيا. أكثر ما يثير الاهتمام في تعليم القديس يوحنا هو مسألة حقيقة الكنيسة. ما يلي مختارات من معايير الكنيسة الحقيقية (من مقدمة للمتقدم في الكهنة أندريه أوختومسكي)

العلامة الأولى لكنيسة الله الحقيقية هي أن الأرواح الشريرة ومن هم مثلهم من الناس يقومون ضدها. لماذا؟ لأن هكذا يجب أن تكون الأمور بحسب الرسول بولس الذي رأى أرواح الشر التي في الجو، أي الأرواح الشريرة التي تسهر على الثورة ضد المسيحيين الأرثوذكسيين دون أن تتعب أو أن تستريح في هذه المعركة. أجاب نفس الرسول بولس في رسالته إلى أهل أفسس عن كيفية مقاومة هذه الأرواح: "أخيراً يا إخواني تقوّوا في الربّ وفي شدّة قوّته. البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدّروا أن تثبّتوا ضدّ مكاييد إبليس. فإنّ مضارعتنا ليست مع دمٍ ولحمٍ، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشّرّ الروحية في السماويات. من أجل ذلك احمّلوا سلاح الله الكامل لكي تقدّروا أن تقاوموا في اليوم الشرّير، وبعد أن تتمّموا كلّ شيءٍ أن تثبّتوا. فاثبّتوا ممتطيّين أحقاءكم بالحقّ، ولايسين دزج البرّ، وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام. حاملين فوق الكلّ ترس الإيمان، الذي به تقدّرون أن تطفئوا جميع سهام الشرّير الملتهية. وخذوا خوذة الخلاص، وسيف الروح الذي هو كلمة الله" (أف. ٦: ١٠-١٧).

الكنيسة الحقيقية سوف تُضطهد لكن يجب أن تثبت في الحقيقة حتى ولو تأججت المعركة حتى الموت. في النهاية، يسوع المسيح بذاته، مؤسس الكنيسة، يقول: "ليس عبداً أعظم من سيّده. إن كانوا قد اضطهدوني فسَيُضطهدونكم" (يوحنا ١٥: ٢٠). وأيضاً: "قدّ كلمتكم بهذا لكي لا تغرّوا. سيخرجونكم من المجمع، بل تأتي ساعة فيها يظنّ كلُّ من يقنلكم أنّه يُقدّم خدمةً لله. وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الأب ولا عرفوني" (يوحنا ١٦: ١-٣). والرسول بولس يقول لتيموثاوس: "وجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالقوى في المسيح يسوع يضطهدون. ولكنّ الناس الأشرار المرؤرين سيتقدّمون إلى أزداء، مضلين ومضلين" (٢ تيموثاوس ٣: ١٢-١٣).

في الأيام الأخيرة، سوف تضعف كنيسة المسيح الحقيقية بسبب انتصار أمير هذا العالم، الذي سوف يشدّ إليه الكثيرين من الذين يناسبون عمله. وهنا نعاتب من خلال كلمات يسوع المسيح: "أدخلوا من الباب الضيّق، لأنّه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك، وكثيرون هم الذين يدخلون منه!"

(متى ١٣:٧). ونكرر قول المسيح: "لا تخف، أيها القطيع الصغير، لأن أبائكم قد سر أن يعطيكم الملكوت" (لوقا ١٢:٣٢).

الكنيسة الحقيقية سوف تكون مبعضة من العالم ومن خدام أمير العالم. يقول المسيح "تكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمي" (متى ١٠:٢٢). "لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته. ولكن لأنكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم، لذلك يبغضكم العالم" (يوحنا ١٥:١٩).
كنيسة المسيح الحقيقية سوف تحمل صليها وتحب الفقر. يقول السيد يسوع المسيح: "إن أراد أحد أن يأتي ورأي فليترك نفسه ويحمل صليبه ويتبعني... من يحب نفسه يهلكها، ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية..." (متى ١٦:١٤، يوحنا ١٢:٢٥، متى ١٩:٢١، لوقا ١٤:٣٣).

كنيسة الله الحقيقية، بحسب الحكمة الدنيوية، هي جنون وحمافة وفشل في كل شيء. فالرسول بولس يقول: "لأن المسيح لم يرسلني لأعمد بل لأبشر، لا بحكمة كلام لئلا يتعطل صليب المسيح. فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله، لأنه مكتوب: «سأبذل حكمة الحكماء، وأزفض فهم الفهماء» أين الحكيم؟ أين الكاتب؟ أين مباحث هذا الدهر؟ ألم يجهل الله حكمة هذا العالم؟ لأنه إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة، استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرامة. لأن اليهود يسألون آية، واليونانيين يطلبون حكمة، ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً: لليهود عثرة، ولليونانيين جهالة! وأما للمدعوين: يهوداً ويونانيين، فبالمسيح قوة الله وحكمة الله. لأن جهالة الله أحكم من الناس! وضعف الله أقوى من الناس! فانظروا دعوتكم أيها الإخوة، أن ليس كثير من الحكماء حسب الجسد، ليس كثير من الأقوياء، ليس كثير من شرفاء، بل اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء. واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء. واختار الله أذنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود، لكي لا يفتخر كل ذي جسد أمامه. ومنه أنتم بالمسيح يسوع، الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداً وفداءً. حتى كما هو مكتوب: «من افتخر فليفتخر بالرب» (١ كورنثوس ١:١٧-٣١). ويتابع " لا يخذع أحد نفسه. إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم في هذا الدهر، فليصير جاهلاً لكي يصير حكيماً! لأن حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله، لأنه مكتوب: «الاحذ الحكماء بمكرهم» (١ كورنثوس ٣:١٨-١٩).

على كنيسة الله الحقيقية أن تضاعف الثمار المذكورة في ما يلي، وتحمل ثمارها إلى التلاميذ، متزينة بالطوبى التي رغب بها المسيح لتلاميذه في قوله لهم: "طوبى للمسكين بالروح، لأن لهم ملكوت السموات. طوبى للحرابي، لأنهم يتعززون. طوبى للودعاء، لأنهم يرثون الأرض. طوبى للجياع والعطاش إلى البر، لأنهم يشبعون. طوبى للرحماء، لأنهم يرحمون. طوبى للأتقياء القلب، لأنهم يعاينون الله. طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يدعون. طوبى للمضطرودين من أجل البر، لأن لهم ملكوت السموات. طوبى لكم إذا عيروكم وطرذوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة، من أجلي، كاذبين. افرحوا وتهللوا، لأن أجركم عظيم في السموات، فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم" (متى ٥:٣-١٢). هذه هي الثمار الناضجة التي على كنيسة الله أن تحملها دوماً.

بهذه العلامات تُعرف كنيسة الله الحقيقية. وهكذا، نحن لا نصف الكنيسة الصحيحة وحسب بل نظهر أيضاً كيف تقاوم الذين يثرون ضدها.